حنبعل وا نتصاراته الأربعة في إيطاااليا 218-216ق.م خلال الحرب البونية الثانية

الأستاذ: سايح مرزوق أحمد
جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة

الملخص:

هذا المقال عبارة عن دراسة تاريخية، تعالج إحدى حلقات الحرب البونية الثانية التي نشبت بين روما وقرطاجة أواخر القرن الثالث ق.م والمتمثلة في الانتصارات التي حققها القائد القرطاجي حنبعل في الجبهة الإيطالية بين سنوات 218-216 ق.م التي هدد بها الوجود الروماني وأربك مجلس شيوخها.

الكلمات المفتاحية : حنبعل، ترازيمن، إيطاليا، سكيبيون، بوليب، الرومان، فيليب المقدوني.

Summary:

This article is a historical study about one of the second epic punic war episodes,that broke out between Rome and Carthage, in the late third century BC,in which the Carthaginian leader Hanibal achieved many victories over the Roman entity in the Italian region,and therefore, he threatened the Roman entity and its senate.This took place between 216 and 218 BC.

مقدمة:

كان غرض قرطاجة من إعلان الحرب على روما هو استعادة مكانتها البحرية في المتوسط، وذلك بمهاجمتها في عقر دارها حينما صمم هاميلكار برقة على ذلك،إلا أن حلمه لم يتحقق، لكن الفكرة بقيت وجسدها ابنه حنبعل.

على إثر اعتلاء حنبعل قيادة الجيش القرطاجي في إسبانيا عام 221 ق.م، أصبح يتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على روما، وتم له ذلك باحتلاله لساغونتة عام 218 ق.م[1].

[1] إبراهيم أيوب رزق الله، التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان 1996، ص125.

وباستيلاء حنبعل على ساغونتة تنتهي فترة الصلح الطويلة مع روما،والتي دامت اثنان وعشرون عاما بإعلان روما الحرب ضد قرطاج، وهو القرار الذي قابلته قرطاجة بالترحاب رافضة لكل أشكال الإهانة[1].

أخذ حنبعل يعد العدة في إسبانيا التي قضى بها فصل الشتاء لعام 218 ق.م، واعتمد خطة تكتيكية خاصة، بإرسال جنود أيبيريين إلى قرطاجة واستقدام الجنود الأفارقة إلى اسبانيا لتفادي التمردات، لينطلق في حملة على روما عبر جبال الألب ويتمكن من بلوغ الأراضي الرومانية ويحقق انتصارات ساحقة في عدة معارك.

ومن هذا المنطلق أحاول في هذا المقال التطرق إلى سير حملة حنبعل نحو ايطاليا والاجتياز البطولي لجبال الألب؟ والتعرض إلى انتصارات حنبعل الأربعة في إيطاليا؟.

1-شخصية حنبعل:

ولد حنبعل عام 247 ق.م بقرطاجة، وهو ابن هاميلكار برقة ينتمي إلى عائلة ال برقة ،يعني اسمه (حنى-بعل) معبود الإله بعل[2]، يعتبر أحد أعظم القادة في التاريخ، وهو الذي خرج بلاد الشرق ليقود المواجهات بتمكنه من اجتياح ايطاليا وبسط نفوذه على أرجاء كثيرة من الإمبراطورية الرومانية[3].

يذكر بوليب أن حنبعل لما بلغ سن التاسعة اصطحبه والده معه إلى اسبانيا، هذا الأخير زرع في ابنه الكراهية والحقد ضد روما، ويظهر ذلك من خلال تقديم القرابين للالهة قبل التوجه الى اسبانيا، في معبد قادس وأمر ابنه بالإقتراب إليه وأمسك يديه ووضعهما على الضحية، فأقسم لأبيه أنه سوف يظل عدوا لروما طوال حياته[4]، لقد أقسم الولد تلك اليمين التاريخية بحماس عظيم، وهو القسم الذي سوف يكون تأثيره قوي في حربه ضد روما[5].

---

[1] محمد بن مبارك الميلي، الجزائر في ضوء التاريخ، مطبعة البحث، قسنطينة 1980، ص153.

[2] زيدان جورجي، أشهر الأعلام والرجال(حنبعل القائد القرطاجي)، جلة الهلال، العدد 02، مؤسسة دار الهلال، القاهرة 1982، ص41.

[3] أحمد إبراهيم الفقيه، لقاء وحوار مع هانيبال، دار الكتب العربية، ص05.

[4] Polybe, Histoire,III, trad. Rousset(d), Paris 1970.

[5] أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، المجلد6، ص59.

يصف لنا تيتوس ليفيوس[1] حنبعل أنه يشبه إلى حد كبير والده هاميلكار، لاسيما في صفات وجهه ونظراته الحادة وشجاعته في مواجهة المخاطر، إذ لا يمكن للتعب أن يؤثر على جسده ولا على نفسيته، يقاوم البرودة والحرارة ويأكل ماتوفره له الطبيعة، كما يستريح وينام عندما تتاح له الفرصة[2].

يجمع المؤرخون على أن حنبعل كان إنسانا قويا شديد المقاومة لديه نظر حاد، إلا أنه لم يوصف وصفا دقيقا إلا بعد اكتشاف النقود الخاصة به والتي حملت صورته الخاصة والتي ضربت باسبانيا ما بين 221-219 ق.م[3].

يبرز أحمد السليماني ولع حنبعل بالتماثيل، فأثرياء قرطاجة والفنانين امتلكوا التماثيل وكذلك فعل حنبعل بامتلاكه عددا كبيرا منها، ومما أحب منها تمثال صغير برونزي نحته الفنان اليوناني لوسبوس صور فيه الإله ملقرت[4].

انخرط حنبعل في الجيش القرطاجي باسبانيا وترقى في المناصب العليا، وفي عام 221 ق.م قتل هسدروبعل قائد الجيوش، فعين مجلس الشيوخ حنبعل خلفا له وهو في سن السادسة والعشرون، نظرا لما أبانه من مواهب عسكرية أهلته لذلك على غرار قيادته للخيالة،[5] ويضيف بسام العسلي أنه احتل مكانة هامة لما حققه من انتصارات عسكرية، كما شكل موضوع اهتمام من قبل المؤرخين لما له من إسهام في تطور التاريخ العسكري بإسهامه في تطوير فن الحرب والاستراتيجيات التكتيكية وهو ما أبرز عبقريته[6].

هذا التكوين العسكري هو ما يؤهله لخوض غمار الحرب ضد روما في عقر دارها ويلحق بها خسائر فادحة مادية وبشرية في عدة معارك بارزة.

---

[1] تيتوس ليفيوس :مؤرخ روماني عاش في الفترة ما بين (59ق.م -17م)، وضع كتابه التاريخ الروماني المتكون من 42 جزء، غير أنه لم يصلنا منها إلا 35 جزء فقط، قدم لنا من خلالها الأحداث التاريخة منذ الأزمنة الغابرة، كما قدم جزء هام من تاريخ قرطاجة لا سيما حروبها مع روما معتمدا في ذلك على بوليبيوس كمصدر، نجده أحيانا يجد شخصية حنبعل ويصفه بالرجل المتطلع وأحيانا أخرى يصفه بالضعيف والجبان.(للمزيد أنظر :عبد المالك سلاطنية، المستوطنات الفينيقية البونية في الحوض الغربي للمتوسط، أطروحة دكتوراه، ص 30.)

[2] Tite-live, Histoire Romaine, trad. D de celerq, Paris 2001, XXI,4,5.

[3] Gelbert(ch.p),Hannibal, p104.

[4] أحمد السليماني، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في نوميديا القديمة من خلال الدلالات واللقى الأثرية والأنصاب النذرية، منشورا المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، 1999، ص90.

[5] اصطيفان جزال، المرجع السابق، ص 118.

[6] بسام العسلي، هانيبال القرطاجي 247-183 ق.م، بيروت، ص110.

2-حملة حنبعل على إيطاليا والاجتياز البطولي لجبال الألب:

لما حان الوقت لحنبعل لاستكمال مشروع والده لم يكن يملك أسطولا بحريا كافيا لنقل كل القوة العسكرية التي جمعها، فضلا عن عدم امتلاكه ميناءا للإنزال في إيطاليا، فالطريق الوحيد لبلوغ الهدف يكون برا عبر جبال البريني[1]، والألب وصولا إلى سهول نهر البو[2]،وكان يأمل من وراء سلوكه لهذا الطريق التحالف مع البوينيين (boiens)، الذين ثاروا ضد روما بعد تأسيسها لمستعمرتي بلاكينتيا وكريمون[3].

سار حنبعل في جيش جرار من الأفارقة والإسبان بلغ تعداده تسعون ألفا(90.000) من المشاة واثنا عشر ألفا (12.000) من الفرسان وسبعة وثلاثين فيلا[4]، ورؤيته في هذه الحرب كانت قائمة على التخطيط الجيد باستعمال جيش غير كبير في تعداده إلا أنه قوي وسريع التحرك، قادر على ضرب العدو في أي مكان وزمان وو من أسرار تفوقه وانتصاراته[5].

وبمجرد عبوره للحدود القرطاجية الرومانية (نهر الإيبرو)، في ربيع 218ق.م تبدأ أولى المواجهات العسكرية لحنبعل، أين تمكن من إخضاع الشعوب المنتشرة بين مجرى النهر السفلي وجبال البرانس وترك بها أخوه حنون لمراقبتها، بينما يواصل هو تقدمه نحو جبال البرانس التي اجتازها بسهولة رفقة جيش قدره بوليب بخمسين ألف (50.000) من المشاة وتسعة الاف (9.000) من الفرسان وثلاثين فيلا[6].

واصل حنبعل تقدمه نحو بلاد غالة وإلى نهر الرون، ولما علم القنصل بوبليوس كورنيليوس سكيبيو(p.cornelius scipion) بتقدمه حاول إيقافه بإنزال قواته في

---

[1] جبال البريني: وهي الجبال الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا حاليا، أطلق عليها المؤرخون العرب اسم (البرتات)، لا تسمح بالمرور من اسبانيا إلى فرنسا إلا عبر محورين شرقي السلسلة وغربيها ، وهي التي عبرها المسلمون بعد الفتح وأطلقوا عليها اسم الدروب، وقد عبر حنبعل هذه الجبال عبر الدرب الذي يحمل اسم لابيرش .(أنظر بسام العسلي، المرجع السابق، ص67.

[2] اصطيفان جزال، المرجع السابق، ص ص129.130.

[3]. محمد الهادي حارش، حملة حنبعل على إيطاليا، مجلة الدراسات التاريخية، العدد06، الجزائر 1992، ص51

[4] نفسه، ص52.

[5] Combert(b.f), les guerres puniques, ed.P.U.F, Paris 1960, p79.

[6] Polybe, III, 35,

مرسيليا، إلا أن حنبعل تحاشى الإشتباك معه ربحا للوقت قصد المضي قدما، وعلى ضفاف نهر الرون تحصل على عدد كبير من الزوارق وقام ببناء أخرى، فاجتاز النهر بمناورة ذكية حيث طوق الشعوب المعادية له في الضفة اليسرى وتمكن منها[1].

من مرسيليا لم يتقدم كثيرا عبر الساحل لكي لا تتعثر خطته في الهجوم على إيطاليا، بل اتخذ طريقا صعبا استنفذ منه جهدا كبيرا وكلفه خسارة في الجند وذلك عبر جبال الألب[2].

تمكن حنبعل من اجتياز جبال الألب وذلك عن طريق فج سان برنار الأصغر حاليا بإجماع غالبية المؤرخين، بينما نجد البعض يميل إلى سلوكه جبل جونيفر، كما نجد جبل فيسوس عند الاخرين[3]، ومهما يكن الطريق الذي سلكه فالإجتياز لم يكن سهلا، نظرا لما اعترضه من عقبات طبيعية وبشرية فمن مقاومة سكان جبال الألب العنيفة إلى تساقط الثلوج الكثيف الذي عرقل سيره، وهذا مايفسر فقدانه لنصف قواته أو أكثر من ذلك[4]، ويضيف بوليبيوس قائلا: "لقد تكبد جنبعل في عبوره لجبال الألب خسائر جسيمة في الجنود بسبب الهجمات التي كان يشنها عليه العدو أو خلال عبورهم المجاري المائية، فضلا عن الخسائر الكبيرة في الخيول والحيوانات الأخرى بسبب وعورة الطرق والعوائق التي اعترضتهم أثناء عبورهم للألب[5].

وصل حنبعل الأراضي الرومانية بعد مسيرة خمسة أشهر بأقل من نصف القوات التي انطلق بها من قرطاجنة، وتبق له عشرون ألف(20.000) من المشاة وستة الاف (6.000) فارس، أرغموا أولا بالسيطرة على مدينة إحدى القبائل الليغورية وهي تورين (Turin) بنهر البو عن طريق القوة بسبب اعتراضها لطريقهم ومنعهم من التقدم[6].

وتجدر الإشارة حسب ما ذكره ديكريه تبيانا لتناقص الجيش القرطاجي الذي بلغ روما إلى أن حنبعل خلال مسيرته الطويلة قام بتنصيب حاميات عسكرية اقتطعت من

---

[1] فرنسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، تر.أحمد عزو عزالدين، ط1، دمشق 1996، ص184.

[2] محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1995، ص63.

[3] محمد الهادي حارش، دراسات ونصوص في تاريخ الجزائر وبلدان المغرب في العصور القديمة، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2013، ص44 .

[4] Tite-live, XXI, 5, 38.

[5] Polybe, III, 2, 56.

[6] اصطيفان غزال، المرجع السابق، ص 136.

جيشه، وكلفها بحماية نقاطه الاستراتيجية ليضمن بذلك عدم تمرد القبائل الغالية، وأكثر من ذلك المحافظة على خطوط اتصالاته مع اسبانيا[1].

وبهذا العبور البطولي لجبال الألب الشاهقة تبدأ مواجهة حنبعل الفعلية لروما، بداية باعتراض سكيبيو طريق حنبعل في الضفة اليسرى للبو في تسينو، أين ستشهد أولى معارك حنبعل بإيطاليا.

3-الإنتصارات الأربعة لحنبعل بإيطاليا:

نظرا للحنكة العسكرية لحنبعل تمكن من تحقيق انتصارات ساحقة ضد روما في عقر دارها خاصة انتصاراته الأربعة بين سنوات 218-216 ق.م.

أ/ معركة تيسين(Tessin) 218 ق.م:

اعتبر حنبعل هذه المعركة كمناوشات لكن يعتبرها المؤرخون انتصارا كبيرا، فعلا كانت هزيمة كبيرة لروما، عكس ما جرت عليه العادة خرج حنبعل للمعركة في الشتاء متجها نحو الجنوب بعد تعزيز قواته بجنود غوليين، وقدم سكيبيون رفقة ابنه من بليزانس(Plaisance)

قاطعا نهر البو ووصل إلى تسين، وجرت أحداث المعركة بين الجانبين قرب لوميلو(Lomello) الحالية[2].

بتشابك مقدمة الجيشين تبدأ المعركة قبل وصول القوات الأخرى، وكانت المشاة الخفيفة لسكيبيون على رأس القوات فمنيت بالهزيمة على يد مقدمة قوات حنبعل وانسحبت من المعركة، وفي نفس الوقت قامت الخيالة النوميدية بتطويق القوات الرومانية وأحدثت في صفوفها خسائر فادحة وتعرض سكيبيون نفسه لجرح كبير، وكان بذلك انهزاما مرا لروما في تيسين، وما عمق الخسارة هو غرق البواخر الرومامنية التي كانت راسية بضفاف نهر تريبي(Trebie) بسبب ارتفاع منسوب المياه[3].

---

[1] فرنسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 185.

[2] Polybe, III, 3, 90.

[3] Le bohec(y), Histire militaire des guerres puniques 246-146 av.j-c, ed. Tallendier, Paris 2014.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

يشير مبارك الميلي إلى براعة الفرسان النوميديين المتميزة بفروسيتها المنقطعة النظير، فلم يتمكن فرسان روما الصمود أمامهم فترجلوا عن خيولهم وهموا بالفرار[1].

بانتصار حنبعل في تيسين أصبح سكيبيون يفقد حلفائه على غرار الغاليون، حيث تمرد عليه ألفي رجل من المشاة ومأتي فارس الذين قتلو عدد كبير من قواته وقطع رؤوسهم وأخذوها إلى حنبعل كعربون الولاء والإنصمام، وما بقي تحت لواء روما سوى شعوب السينومون(les Cenomans) والفينيت(Vénètes)[2].

ويضيف تيت ليف في هذا الصدد أن امال حنبعل للحصول على أكبر التحالفات كانت معلقة في صقلية أي المدن ذو التقاليد البونية، والتي كانت تنتظر إشارة من حنبعل كي تنتفض، باعتبار سخط الشعب وحقدهم على الأرستقراطية الرومانية وجاهزة لمناصرة قرطاجة بما فيها سراقوسطة[3].

ب/معركة تريبي(la Trébie) ديسمبر218 ق.م:

القوات الرومانية كانت تحكم سيطرتها الكاملة على البحر، فلم يخطر على حنبعل خوض معارك بحرية لذلك كان عليه فرض معارك برية على عدوه فكانت بذلك معركة تريبي[4].

أما سكيبيون الذي حذره ضباطه بالتريث وعدم الدخول في المعركة، إلا أنه وقع في الخطأ

ودخل المعركة مستعجلا وهو مازال لم يتعافى من جراحة فضلا عن عدم التخطيط لها[5]، في حين وضع حنبعل خطة محكمة فوضع المشاة الثقيلة على خط مستقيم مع الغاليين، وعلى أجنحتهم الإفريقيين تتقدمهم المشاة الخفيفة من سكان البليار، أما الفرسان والفيلة في الأجنحة، زيادة على ذلك ترك عشرة الاف(10.000) فارس وعشرة

[1] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص153.

[2] فرنسوا ديكريه، المرجع السابق، ص159.

[3] Tite-live, XXI, 49, 50.

[4] Le bohec(y), op.cit, p172.

[5] Combert(b.f), op.cit, p83.

الاف(10.000) من المشاة تحت قيادة ماغون متسترين وراء هضبة في مؤخرة الجيش الروماني[1].(أنظر الملحق رقم: 00).

سمبرونيوس وسكيبيون علر رأس القوات الرومانية التي وصلت إلى ستة عشر ألف(16.000) مرتزق، وعشرين ألف(20.000) مناصر، بينما حنبعل قائد القوات القرطاجية إضافة إلى قواته انضم إليه عدد كبير من الإيطاليين[2]، ويذكر ابراهيم نصحي أن القوات الرومانية كانت تشكل ضعف قوات حنبعل[3].

لا يمكننا استبعاد التفوق في العدد، إلا أننا نؤكد أن استرتيجية حنبعل وحنكته العسكرية تمكنت من هزيمة القوة الرومانية.**(أنظر الملحق رقم01)**

وقعت المعركة أواخر ديسمبر 218 ق.م جنوب نهر البو على الضفة اليسرى لتريبي بين سارتينارو(Sartenaro) وكازاليجيو(Cazalegio) وتيرا(tura)[4]

في يوم المعركة أعد حنبعل الذي كان يعسكر في كلاستيديوم العدة، فأيقظ جنده في الصباح الباكر وقدم لهم المؤونة فضلا عن دهن أجساد بعض قواته بالزيت كطبقة عازلة تحول دون تأثرهم ببرودة الماء وكلفهم بمهمة استدراج القوات الرومانية على الضفة المقابلة من رافد تريبي كي يعبروا ذلك المجرى المائي المتجمد وكذا بث الرعب في صفوفهم[5].

دفع هذا الذعر بسمبرونيوس إلى قطع النهر بجيشه وماؤه بارد جدا، وباجتيازهم هذا كانت أجسادهم ترتعش من شدة البرد والجوع فأصبحوا وجها لوجه أمام حنبعل.

بدأت المعركة عن طريق المشاة الرومانية التي بادرت بالهجوم، وحققت انتصار ظرفي على وسط الجيش القرطاجي، ولكن على الأجنحة كانت الوضعية عكس ذلك فالفيلة والخيالة الإفريقية حققت انتصار ساحق، فخطة حنبعل اعتمدت الهجوم بفرق صغيرة ثم الإنسحاب

---

[1] Le bohec(y), op.cit, p174.

[2] Ibid, p172.

[3] ابراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج1، منشورات الجامعة الليبية، ليبيا 1973،

[4] Le bohec(y), op.cit, p173.

[5] محمد السيد عبد الغني، التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية منذ نشأة روما حتى عام 133 ق.م، ج1، المكتب الجامعي الحديث 2005، ص366.

والرجوع مرة ثانية إلى الهجوم وهو ما يعرف بتكتيك الكر والفر[1]، كما قام ماغون – الشقيق الأصغر لحنبعل ورفيقه في حملته- بانهاء الانتصار عن طريق كمين محكم في أخدود تغطيه الشجيرات الصغيرة مستهدفا كل من حاول الفرار وتمكن من إبادة مجموعة كبيرة من الرومان[2].

لم ينج من هذه المعركة سوى العشرات فقط من قوات سمبرونيوس المقدرة بأربعين ألف(40.000) جندي، بينما كانت خسائر حنبعل قليلة على حسب ما ذكره بوليبيوس[3]، فدهاء حنبعل العسكري وحيله الحربية مكنته من هذا الانتصار الساحق، فقتل من قتل وأغرق من نجا من القتل في نهر تريبي[4].

أما سكيبيو فنهض برجاله ولجأ إلى مدينة بلاشينزيا، وبلغت الرومان هذه الأخبار المحبطة فذهلوا وزاد خوفهم من القائد حنبعل، وأمر مجلس الشيوخ في الحال بجمع قوات جديدة من الوطنيين والحلفاء[5].

وعلى إثر هذا الانتصار الثاني هيمن القائد حنبعل على بلاد الغال، وانضم إلى جيشه عدد هائل من الغاليين وهو ما رفع أعداد جيشه لتصل إلى ما يعادل خمسين ألف(50.000) مقاتل، أمضى بها فصل الشتاء لعام 217 ق.م في سهل البو يدربهم ويحفزهم على القتال، وجمع المؤونة تحضيرا لغزو شبه الجزيرة الإيطالية[6].

كما قام حنبعل بحملة دعائية وذلك بإطلاق سراح معظم أسراه لكسب التأييد، إلا أن قساة الشتاء التي واجهته عانى فيها جيشه أشد العناء، كما هلكت جميع فيلته ماعدا فيل واحد استخدمه حنبعل في عبوره لبعض المناطق الوعرة في وادي أرنو(Arno)[7].

ج/ معركة ترازيمان(Trasimène) جوان 217 ق.م:

تحرك حنبعل قبل انقضاء فصل الشتاء، فجاوز جبال الأبنين ووصل إلى مستنقعات أرنو، ولصعوبة هذه المسالك كانت المسيرة شاقة جاعلا الفرسان في المؤخرة لحمل

---

[1] Le bohec(y), op.cit, p175.

[2] محمد السيد عبد الغني، المرجع السابق، ص367.

[3] Polybe, III, 2, 74.

[4] أحمد صفر، مدينة المغرب العربي في التاريخ، دار بوسلامة، تونس، ص214.

[5] ابراهيم نجيب طراد، تاريخ الرومان، مكتبة ومطبعة الغد، مصر 1997، ص137.

[6] ابراهيم أيوب رزق الله، المرجع السابق، ص 128.

فرنسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 187.[7]

الجنود المتأخرين، حتى أن حنبعل نفسه أصيب بمرض أدى إلى فقدانه لإحدى عينيه ولقب نظرا لذلك بالقائد وحيد العين[1].

باتجاه حنبعل جنوبا وصل إلى أريزو أين يتواجد معسكر القنصل كايوس فلامينيوس(Caius Flaminius)، ولإثارة هذا الأخير قام حنبعل بنهب الأرياف المجاورة وإحراقها، ليواصل طريقه نحو ترازيمان (لاغودي بروجيا حاليا) موقع المعركة لجذب العدو إليها[2]، فلحق به فلامينيوس بقواته دون انتظار زميله كنيوس سرفيليوس جرمسنيوس (Cneius servilius Germinius) الذي كان معسكرا في ريميني رغم إلحاح قواده بعدم اللحاق بحنبعل دون سرفيليوس، فوقع بذلك في فخ حنبعل[3].

معركة ترازيمان لم تكن مواجهة مباشرة بين قوة ضد أخرى، لكنها تمثلت في كمين(**أنظر الملحق رقم 02**)نصبه القائد البرقي أين كان للأرض والمناخ دور هام في نجاحه، زيادة على القوة التكتيكية لحنبعل بجعل قواته متمركزة على قمم الجبال وقسمها إلى أربعة أفواج من الغرب إلى الشرق بدءا بالفرسان يليهم الغاليين ثم القرطاجيين فالإفريقيين والإيبيريين، كما أن قواته غير مرئية بسبب الظلام الحالك والضباب[4].

ذهلت القوات الرومانية فور وصولها لقوة الجيش القرطاجي، فهاجما حنبعل من كل الجهات، فكانت الخسائر فادحة في صفوف الرومان المقدرة بخمسة عشر ألف(15.000) رجل من بينهم القنصل فلامينيوس الذي لم يجدوا رأسه الذي أخذ كغنيمة، كما لاحق حنبعل الفارين وأغرق منهم الكثير، بينما لم ينج من هذا الكمين سوى ستة الاف(6.000) رجل كما أسر العديد منهم، بينما لم تتجاوز خسائر القرطاجيين ألفين وخمسمائة جندي[5].

-تبعات معركة ترازيمان:

المعارك التي خاضها حنبعل سمحت له باستخدام خطط تكتيكية عديدة خاصة معركة بحيرة ترازيمان التي قضى فيها حنبعل على أغلبية الرومان الناجون، وبالنسبة

---

[1] Polybe, III, 3, 79.

[2] فرنسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 161.

[3] شارل أندري جوليان، تاريخ شمال افريقيا منذ البدء إلى الفتح الإسلامي، تر.محمد مزالي والبشير سلامة، مؤسسة توالت الثقافية، 2011، ص85.

[4] Le bohec(y), op.cit, p179.

[5] ابراهيم نجيب طراد، المرجع السابق، ص138.

للإيطاليين فقد أطلق سراحهم بدون دفع الجزية وصرح لهم بأنه قدم ليحررهم من غطرسة الرومان، وبهذا الإنهزام الثالث عمت الفوضى في روما ودب الرعب فيها[1].

أرسل القنصل سرفيليوس بعد الهزيمة فوج متكون من أربعة الاف رجل تحت قيادة سنتينيوس(Centenius) فاصطدم بجيش قرطاجي يقوده ماهربعل(Maharbal) في مواجهة

تسمى بمعركة المستنقعات، منيت فيها روما بهزيمة أخرى كبيرة[2]، وفي هذه الأثناء قطع حنبعل واد أومبري(l'Ombrie) وحاصر سبولات(Spolète) لمدة قصيرة ثم تخلى عن ذلك، سار بعدها على طريق بيكنوم(Picenum) ووصل إلى دوني(Daunie) وخيم شتاءه في جيرونيوم(Geronium)، فهذه المسيرة وكذا نجاحاته الحربية جعلت منه الإسكندر الجديد[3].

نصب الرومان وفي أوائل شهر جويلية 217ق.م قائدا جديدا هو كوينتوس فابيوس ماكسيموس(Quintus Fabius Maximus) الذي ينتمي إلى فئة المحافظين، كان سابقا خصم فلامينوس ولقب فابيوس بالمتأني[4]،ونائبه هو ماركوس مينيكيوس ريفوس(Marcus Minicius Rufus)[5]، إلا أن تعيين فابيوس قائدا لم يأت بجديد يذكر، فالبرغم من محاولاته المتكررة لتعقب حنبعل إلا أن هذا الاخير كان يتجنب مواجهته في معركة مباشرة، لقد أحبط حنبعل مخططات القائد الروماني الرامية إلى كسر شوكة الجيش البوني[6].

تمكن القائد البرقي من تحصيل غنائم بسلب ممتلكات الحلفاء الموالين لروما وعلى مرأى جيوشها، وظل فابيوس مصرا على تجسيد وتفعيل خطته في تعقب حنبعل وتحيين الفرصة للإنقضاض عليه[7].

---

[1] Le bohec(y), op.cit, p 180.

[2] Tite-live, III, 3, 87.

[3] Polybe, III, 3, 86-92.

[4] عرف فابيوس بالمتأني نظرا لتفضيله الحرب الطويلة، والتي يمكن من خلالها إنهاك الخصم بطول المقاومة وقطع سبل الوصول إلى المؤونة عليه، وكذا الدخول مع الخصم في مناوشات خفيفة والخروج بأقل الخسائر.(ينظر محمد الهادي حارش،حملة حنبعل على إيطاليا، م.د.ت، العدد6، الجزائر 1992، ص58.

[5] Le bohec(y), op.cit, p184.

[6] Gsell(st), H.A.A.N, t3, paris 1921, p155.

[7] Ibid., p157.

قام حنبعل بتنظيم تكتيكي لجيشه وتجهيز جنوده بنفس تجهيزات الجيش الروماني وذلك عن طريق استرجاع سلاح القتلى الرومان وتوزيعها على جنوده[1]، وهكذا أنشأ جيشا جديدا فضلا عن تغيير خطته العسكرية بتقسيم جيشه إلى أفواج صغيرة متبعا النهج الروماني في ذلك[2].

احتل حنبعل كل من سمونيوم وكومباني وأبولي، هذه الأخيرة خيم بها وقضى بها شتاء 217-216ق.م وكذا الربيع الموالي لاحتوائها على المؤونة فهي بلاد القمح والمراعي الشاسعة[3]، والتي سوف يحضر بها جيشه لخوض معركة كبيرة ضد الرومان ألا وهي معركة كانا التاريخية.

د/ معركة كانا(Cannes) أوت 216 ق.م:

توالت هزائم روما أمام القرطاجيين، فبعد هزيمة معركة ترازيمان فشل القنصل فابيوس في النيل من حنبعل، اضطر مجلس الشيوخ الى استبدال قنصليهما فتم تعيين لوكيوس إمليوس باولوس(Lucius Aemilius Paulus) وهو من عائلة أرستقراطية والذي قرر متابعة سياسة فابيوس، وكايوس ترنتيوس فارون(Caius Terentius Varro) وهو من عائلة متوسطة الحال والذي اقترح ترك سياسة فابيوس والهجوم بمعارك كبرى مباشرة[4].

استطاع الرومان تجهيز جيش يقارب ثمانين ألف(80.000) رجل[5]، وكان سكيبيو الأصغر ضمن الجنود، ولم يغيروا سياستهم المتمثلة في تحطيم القواعد الخلفية لحنبعل ونقل الحرب إلى جدران قرطاجة، وحاولوا الإنزال في إفريقيا لكنهم أخفقوا في ذلك إلا أنهم لم يفقدوا أمل الإنتصار على حنبعل[6].

-مجريات ونتائج معركة كانا:

[1] Polybe, III, 3, 87.

[2] Le bohec(y), op.cit, p186.

[3] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 54.

[4] Tite-live, XXII, 25.

[5] Polybe, III, 3, 107.

[6] Tite-live, XXII, 43.

يشير تيت ليف إلى أن القوات الرومانية اتجهت إلى كانا**(أنظر الملحق رقم04)** المكان الذي اختاره الحظ لهزيمة القوات الرومانية أين تمركزت في موقعين[1]، وحسب فرنسوا ديكريه فمعركة كانا كانت أكبر معركة في الفترة القديمة ومن أسباب هزيمة روما فيها هو الاختلاف في طريقة تسيير المعركة بين قيادتي الموقعين[2].

بدأت المعركة يوم 02 أوت 216 ق.م جنوب نهر أوفيدو(Aufide) أو أوفانتو(Ofanto) حاليا على ضفته اليمنى حيث كانت الشمس على الجانب إلا أن ريح قوية حاملة لغبار كثيف سهل المهمة لجنود قرطاج ولنجاح خطة حنبعل القائمة على تطويق القوات الرومانية والقضاء عليها[3]**(أنظر الملحق رقم 03)**.

وضع حنبعل جيوشه البالغ تعدادها أربعين ألف(40.000) من ضمنها عشرة الاف(10.000) فارس باتجاه البحر، وجعل في الوسط الخيالة الإيبيرية والغالية على يمينهم بينما على يسارهم المشاة الثقيلة الإفريقية تحت القيادة المباشرة لحنبعل وماغون مساعدا له[4].

كما وزع حنبعل قادته بإحكام حيث وضع على الأجنحة الإيبيريين والغاليين تحت قيادة هسدروبعل، وعلى اليسار الفرسان النوميديين تحت قيادة حنون بينما خطه الأمامي شكل من

أهالي البليار، ومن الجانب الروماني نجد الجناح الأيسر المشكل من الفرسان تحت قيادة فارون، وعلى اليمين الفرسان المرتزقة بقيادة أيميليوس[5].

بعد تحفيز الجيوش من طرف الألوية بدأت المعركة والتي وصفها سيليوس إيتاليكوس بأنها التقاء بين علمين أو قارتين إفريقيا ضد أوربا[6]، أسرعا القنصلان لملاقاة حنبعل بالقرب من كانا على سهل مكشوف فبادرا بتحريض الجيش الروماني على القتال

[1] Ibid, XXII, 43.

[2] Decret(f), Carthage au l'empire de la mer, ed. seuil, Paris 1977, p190.

[3] Le bohec(y), op.cit, p190.

[4] اصطيفان جزال، المرجع السابق، ص141.

[5] Polybe, III, 4, 114.

[6] Le bohec(y), op.cit, p192.

وتحفيزهم على الشجاعة والثبات، ظنا منهما أن فوز القرطاجيين في المعارك السابقة يعود إلى نقص التنظيم في صفوفهم أما اليوم فالأوضاع قد تغيرت[1].

باشتعال المعركة أظهر جيش حنبعل براعة منقطعة النظير، بداية قام الفرسان بحركة دائرية تكتيكية طوقوا على إثرها قلب الجيش الروماني وكذا المشاة المصطفين في مؤخرة الجيش الروماني[2]، كما قام الجناح الأيمن الروماني بمهاجمة وسط الجيش القرطاجي وفي ان واحد هاجمت الأجنحة الرومانية الفرسان البونية، إلا أن هسدروبعل تمكن من هزيمة القوات الرومانية[3].

لعب الفرسان البونيين دورا حاسما في انتصار حنبعل الذي فقد من قواته خمسة الاف وسبعمائة(5700) رجل فقط، وفي المقابل خسر الرومان خمسة وأربعون ألف(45.000) رجل من ضمنهم القنصل أيميليوس والعديد من القادة، فضلا عن عشرين ألف(20.000) أسير، بينما لم ينج من المعركة سوى خمسة عشر ألف رجل ذهب منها مع فارون عشرة الاف رجل إلى فينوس والجزء الاخر عاد إلى كانيزيوم(Canisium)[4].

-مصير حنبعل بعد معركة كانا:

عمل ضباط جيش حنبعل وعلى رأسهم ماهربعل بعد المعركة حث حنبعل على الإنقضاض على روما، إلا أن القائد القرطاجي قابل الفكرة بالرفض، فنعته ماهربعل بأنه لا يحسن الإستفادة من انتصاراته، غير أن حنبعل قدم توضيحات حكيمة باعتبار فرصة الهجوم على روما لم يحن وقتها لأن المدينة جد محصنة[5].

أدرك حنبعل فعلا صعوبة تحطيم روما رغم أن النجدة التي أرسلتها قرطاجة وصلته عام

215 ق.م، حيث تلقى أربعة الاف جندي وبعض الفيلة بالإضافة إلى الأموال وكان متواجدا جنوب إيطاليا[6]، وبفضل هذه الإمدادات عمل حنبعل على التوسع وضم مناطق

---

[1] إبراهيم نجيب طراد، المرجع السابق، ص141.

[2] إبراهيم أيوب رزق الله، المرجع السابق، ص 129.

[3] Polybe, III, 3, 117.

[4] Le bohec(y), op.cit, p193.

[5] فرنسوا ديكريه، المرجع السابق، ص 163.

[6] Gsell(st), op.cit, p 163.

جديدة لضمان المؤونة وتدعيم جيشه بالجنود، فتمكن من كسب مدينة كابو وضم تارونتة(Tarente)[1].

وبالرغم من كل انتصارات حنبعل وعقده تحالف مع الملك فيليب المقدوني عام 215 ق.م القاضي بالتعاون المشترك ضد عدوهما روما بدأ في التراجع والانحطاط بقضاء روما على هذا التحالف وتركت حنبعل وحيدا في مواجهة القوة الرومانية الصاعدة[2].

توالت هزائم حنبعل وبدأ بفقدان العديد من المناطق على غرار كابو التي عوقب شعبها من طرف الرومان جزاءا على تحالفها مع حنبعل وتلتها سقوط تارونتة[3]، وما عمق من أزمة حنبعل هو عودة القائد الروماني سكيبيون من اسبانيا بعد تحقيقه لعدة انتصارات وتحضيره لنقل الحرب إلى إفريقيا وانتخب قنصلا عام 205 ق.م وأسندت له ولاية صقلية، ومن هذه الأخيرة حضر للحملة على إفريقيا والتي عجلت بمغادرة حنبعل لإيطاليا لغرض نجدة الوطن الأم وبالتالي فشله في إتمام مشروعه الهادف إلى تحطيم روما[4].

خاتمة:

ومن خلال معالجتنا لهذا الموضوع توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات نلخصها في النقاط التالية:

1-قوة شخصية القائد القرطاجي حنبعل ابن هاميلكار ونشأته على كره روما منذ كان في سن التاسعة، نظرا للقسم التاريخي أمام والده لعداء روما مدى الحياة وفي حضرة الالهة.

2-تفوق الخطط العسكرية لحنبعل على خصومه الرومان باعتراف العدو وتغييرها من معركة إلى أخرى (تيسين، تريبي، ترازيمن، كانا)والتي لازالت تستخدم من طرف الجيوش الحديثة.

3-لم يتمكن حنبعل من بلوغ هدف تحطيم روما رغم هزمها في عدة معارك حاسمة على غرار معركة كانا، وذلك يعود إلى الامكانيات البشرية والمادية الضخمة المسخرة من طرف روما وتقاعس مجلس الشيوخ القرطاجي في دعمه.

---

[1] محمد الهادي حارش، 1992، ص55.

[2] Gsell(st), op.cit, p142.

[3] Decret(f), op.cit, p198.

[4] فتيحة فرحاتي، نوميديا من حكم الملك غايا إلى بداية الإحتلال الروماني 213-46 ق.م، الجزائر 2007، ص71.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405